يا شباب الإسلام
آن أوان العمل



بقلم: علي بسام رمضان

لجنة البحوث والدراسات

يا شباب الإسلام

آن أوان العمل

بقلم:

علي بسام رمضان



لجنة البحوث والدراسات

مقدمة



في زمن كثرت فيه الفتن، واختلط فيه الحق بالباطل، وتزاحمت الشهوات والشبهات على القلوب والعقول، أصبح من الواجب على كل مسلم أن يعيد نظره في هذه الحياة. إن الإسلام لم يكن يوما ما دعوة إلى الجمود والانعزال، بل هو دين حركة وعمل وتغيير وبذل مستمر. والشباب بما يمتلكونه من طاقة وعزيمة هم عماد هذه الدعوة، ورجال التغيير الحقيقيين.

إن نصرة الدين تتطلب من الشباب قلوبا مؤمنة، وعقولا استنارت بنور الوحي، وإرادة لا تلين، إن طريق نصرة الدين ليس مفروشا بالورود، بل هو درب مليء بالابتلاءات، لكنه في الوقت ذاته هو طريقنا للفوز برضوان الله وجنته. وهو ما يتطلب منا السير بخطى ثابتة، مسلحين بالعلم، مشتعلين بحماس الدعوة إلى الله تعالى وهداية البشر، مستعدين وجاهزين للجهاد في سبيل الله بكل أشكاله، مترفعين عن سفاسف الدنيا وتفاهاتها، ومراقبين الله سبحانه وتعالى في حركتنا وسكوننا، محتسبين أجر هذا العمل عند الله تعالى لا نريد من أحد جزاء ولا شكورا، يقول سيد قطب: (قليل هم الذين يحملون المبادئ، وقليل من هذا القليل، الذين ينفرون من الدنيا من أجل تبليغ هذه المبادئ، وقليل من هذه الصفوة الذين يقدمون أرواحهم ودمائهم من أجل نصرة هذه المبادئ والقيم، فهم قليل من قليل من قليل).

الشباب هم أنصار الدين



لقد كان الشباب حماة الدين وأنصار الشريعة على مر التاريخ الإسلامي، وقد قامت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أكتاف الشباب، فسيدنا عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الدين كان عمره عندما أسلم 26 سنة، وسيدنا عثمان بن عفان 20 سنة، وعلي بن أبي طالب الذي فدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فنام في فراشه ليلة الهجرة كان عمره عندما أسلم 8 سنوات، وقاد أسامة بن زيد جيش المسلمين لغزو الروم وعمره 18 سنة، وطلحة بن عبيد الله الذي صد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السهام في معركة أحد حتى شلت أصابعه كان عمره 16 سنة، وغيرهم كثير من الأئمة والقادة المسلمين على مر الزمان كانوا من الشباب يضيق المقام عن ذكرهم.

والسؤال: لماذا كان الشباب في كل أمة هم أساس النهضة والتغيير؟ لخص الإمام حسن البنا رحمه الله هذه الأسباب بقوله: (أيها الشباب: إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب. لان أساس الإيمان القلب الزكي، وأساس الإخلاص الفؤاد النقي، وأساس الحماسة الشعور القوي، وأساس العمل العزم الفتي، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب. ومن هنا كان الشباب قديما وحديثا في كل أمة عماد

نهضتها، وفي كل نهضة سر قوتها، وفي كل فكرة حامل رايتها: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)).

فيا شباب الإسلام وحماة الثغور، وقت الراحة لم يحن بعد، فأمتنا تئن من الضعف والتشتت، وإخواننا يُذبحون ويقتلون على مرمى حجر منا ولا نستطيع نصرتهم، وأطفال المسلمين ونساؤوهم من أقصى الأرض إلى أقصاها يسومونهم الكفارُ العذاب والتنكيل لأنهم قالوا ربنا الله ولا نصير لهم من إخوانهم، وإن أمتنا تنتظر من يرفع رايتها ويحيي عزتها، ويعيدها إلى مكانتها بين الأمم. وإن هذا الشرف العظيم -شرف نصرة الدين والعمل له- لا يُنال بالأمنيات، بل ينال بالعمل.. بالدعوة.. بالبذل.. بالتضحية.. بالتطوع في ميادين الخير.. بالجهاد في سبيل الله.

فانهض ولا تنتظر أن تُؤمر، ولا تقل من أنا؟ بل قل: أنا لها، فالله لا ينظر إلى صورنا ولا إلى أجسادنا بل ينظر إلى أعمالنا وصدق نيتنا وثباتنا على هذا الدين. فقم وسر إلى الله مسارعا في الخيرات، سر بالعلم والدعوة والجهاد، لعل الله يفتح لهذه الأمة أمر خير على يديك.

العلم سلاحك الأول لنصرة دينك



وإن العلم هو الركيزة الأساسية لكل عمل صالح فبدون علم صحيح لا يمكن للمسلم أن يسير في طريق نصرة الدين بخطى واثقة، فالعلم ينير طريق العامل، والعلم سبب للوقاية من الوقوع في الخطأ، فحين يتسلح الإنسان بالعلم، لا يمكن أن ينظر للعالم نظرة سطحية أو عشوائية، بل يرى فيه نظاما دقيقا يشهد بعظمة الخالق، ويدرك أن كل ذرة في الكون لم تخلق عبثا، فالعلم يوسع مدارك العقل، ويحرر النفس من الجهل والغفلة، فيصبح المرء أكثر وعيا بحقيقة وجوده، وأعمق فهما لواجبه تجاه ربه وأمته والناس من حوله.

فالعلم سيخبرك بأن لك دورا يجب أن تؤديه، ورسالة هداية ونور للبشرية ستحملها، وأمانة ستسأل عنها. يريك حجم التقصير، ويكشف لك كم في الأمة من جراح تحتاج إلى علاج، وكم في العالم من ضلال يحتاج إلى هداية. ومن هنا، لا يظل الإنسان متفرجا، بل يتحول إلى عامل ومصلح، يدرك أن مسؤوليته لا تقتصر على نفسه، بل تمتد إلى مجتمعه وأمته والبشرية كلها.

ولا يقتصر العلم النافع على العلوم الشرعية وإن كانت هي الأساس والأصل لبناء شخصية المسلم الرباني، بل إن إتقان العلوم الحديثة كالطب والهندسة والعلوم العسكرية والاستخباراتية وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم فرض كفاية على الأمة وليس ترفا أو انشغالا عن الدين، فبناء أمة قوية تنهض بواقعها وتدافع عن عقيدتها يحتاج إلى عقول متخصصة، وسواعد عاملة، وعلماء مبدعين في شتى الميادين، فالأمة لا تحتاج اليوم إلى الخطباء والوعاظ فقط، بل إلى مؤمنين متقنين لعملهم، يضيفون لأمتهم من أسباب القوة ما يجعل عدوها يهابها، وبهذا الإتقان ترفع راية الإسلام عالية ولو كره الكافرون، وتجتمع أسباب القوة لتقوم دولة للمسلمين تقيم شرع الله وتحفظ بيضة الإسلام وتحمي ديار المسلمين وأرواحهم وأعراضهم وأموالهم.

يا شباب الإسلام، إن الأمة اليوم في أمسّ الحاجة إلى من ينهض بها، ويأخذ بيدها إلى درب العزة والكرامة، ولن يكون ذلك إلا بسواعد المخلصين العاملين. فالدعوة إلى الله والعمل لنصرة هذا الدين ليست حكرا على العلماء والدعاة والملتزمين، بل هو واجب مشترك على كل مكلف، والثغور مفتوحة ويمكن لكل مؤمن أن يشارك بأي شيء حسب طاقته، علِّم من حولك، شارك في المبادرات الحركية العملية، اسعَ لتبليغ الحق، وكن عاملا لدينك خادما له في مجتمعك، فليس شرطا أن تقف على منبر أو تكتب كتابا، يكفي

أن تجعل كل مهارة وهبك الله إياها في خدمة دين الله وأمة المسلمين، فكم من عمل صغير تراكم حتى فتح الله به البلاد وقلوب العباد، فابدأ من حيث أنت، وكن من العاملين لدين الله، لا من المتكاسلين المشاهدين لآلام الأمة دون أدنى حركة، يقول سيد قطب: (إن الكلمة لتنبعث ميتة، وتصل هامدة، مهما تكن طنانة رنانة متحمسة، إذا هي لم تنبعث من قلب من يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيما واقعيا لما ينطق، عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق).

ذروة سنام الإسلام



وليعلم كل واحد منا أن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، وأغلى ما يقدمه المسلم لنصرة دينه نفسه التي بين جنبيه، والشباب بقوتهم وشجاعتهم هو وقود هذا الجهاد. والجهاد ليس مجرد فعل عابر، بل هو مسيرة طويلة تتطلب إخلاصا واستعدادا دائما لتقديم الغالي والنفيس في سبيل الله، فلابد للمسلم من أن يُعدَّ نفسه إيمانيا وعلميا وعمليا للقيام بهذا الواجب، فالإعداد للجهاد عبادة نتقرب بها إلى الله تعالى، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، يقول زيد بلال: (هل تريد الله عز وجل والدار الآخرة، هل

ستبذل نفسك له، وتصدق في لقاء عدوه؟! إذن قم وابدأ الآن، ودين الله تعالى على قدر مغارمك فيه يهبك مغانمه، ما زال هناك وقت للإعداد.. اصدق نفسك وقم للعمل، كن جنديا للمعركة، "ولن يخيب عن دَرْك البغية من صدق نفسه الطلب، وبلغ جده في الاجتهاد لدرك المطلب" كما قال ابن عقيل)، والمجتمع المسلم في أصله هو مجتمع محارب، وكل فرد فيه هو مقاتل في سبيل الله مهما كان تخصصه وعمله، فكل فرد مسلم إماما كان أو خطيبا، مهندسا، أو طبيبا، سياسيا، أو قانونيا، اقتصاديا، أو إعلاميا، نجارا أو حدادا، أو غير ذلك، كلهم في المجتمع المسلم مقاتلون، فالفرد المسلم أيا كان تخصصه وعمله هو مقاتل في سبيل الله، فلا وجود لمسلم على هذا الأرض لا يعرف كيف يستخدم السلاح أو يخشى من التعامل معه.

يا شباب الإسلام، إن الجهاد في سبيل الله يتطلب قلبا مخلصا، وعزيمة لا تلين، وهو درب الصالحين الذين ضحوا بأرواحهم وأموالهم لنصرة دين الله، فكن خير خلف لخير سلف، وأعد نفسك ليوم تنصر فيه أمتك ودينك بدمائك لا بكلماتك.

حتمية الابتلاء



إن طريق الحق ليس سهلا، بل هو محفوف بالابتلاءات والمحن والاختبارات، قال تعالى: (أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ)، فكل من سلك درب الدعوة إلى الله، أو نهض لنصرة دينه، أو عمل لإحياء أمته، فلا بد أن يُمتحن في ماله أو نفسه أو أهله أو سمعته أو راحته، وقد تسجن في سبيل الله أو تفقد حبيب أو يضيق عليك في رزقك أو يهجرك الآخرون لتمسكك بدينك، فلا تبتئس، هي سنة ماضية في حياة الأنبياء والصالحين، فقد أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشد أنواع الأذى، وأُخرج من داره، وحُوصر، وقُتل أصحابه وهو صابر محتسب، ومضى في دعوته بثبات لا يتزلزل فداه نفسي. والابتلاء غربال يكشف الصادق من المدعي، ويصقل النفس، ويربي على التوكل، ويعمّق الإخلاص. ومن أراد أن يعمل لدين الله دون أن يُبتلى، فقد أساء فهم طبيعة هذا الطريق، قال ابن القيم: (سأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة). فالابتلاءات ليست عقوبة، بل هي امتحانات ربانية تطهر نفسك، وتقوي عزيمتك، وترفع درجتك عند الله.

وما أعظم العزاء حين تعلم أن كل دمعة تسكبها، وكل أذى تحتسبه، هو في ميزان حسناتك، وأن الله مع الصابرين، وأن بعد كل شدة فرجا، وبعد كل ظلمة فجرا، فاثبت واصبر، وقل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي).

ويجب أن تتحول الابتلاءات في حياتنا إلى مدرسة تربوية، نتعلم فيها الصمود ومعاني الرجولة، ويزداد فيها ارتباطنا بالله تعالى فلا كاشف لهذه المحن والابتلاءات إلا هو سبحانه، وندرك أن الدنيا دار اختبار وإنما هي أيام معدودة، والآخرة هي دار القرار والجزاء، واعلم أنه في كل محنة منحة، وفي كل تحد فرصة لإثبات صدق إيمانك واستحقاقك لرضوان الله تعالى.

كن عالي الهمة



وإذا كانت الابتلاءات سنة ماضية في طريق العاملين لدين الله، فإن من أعظم ما يعين على الثبات أمامها بعد التوكل على الله هو امتلاك همة عالية، ونفس طموحة لا تركن للدعة، ولا تستسلم للصعاب. فالمؤمن حين يدرك عظمة الهدف الذي يسعى إليه، تهون في عينه التضحيات، فعلو الهمة هو وقود الطريق، وسر الثبات، وعلامة صدق الإرادة، يقول إبراهيم السكران: (لقد ركّب الله في هذه الحياة أن (معالي الأمور) التي نص عليها القرآن، كالرسوخ في العلم، وإظهار الهدى ودين الحق على الدين كله، والتمكين في الأرض، وإصلاح الأمة، ونحوها من المطالب الكبرى لا تحصل للمرء وهو مستكملٌ راحته وطعامه وشرابه ونومه وأوقات استرخائه.. هذه حقيقة دلّ عليها الشرع وصرخت بها تجارب الحياة.. إذا كان المرء ينام حتى تُجهرك أشعة الحمرة في عينيه، ويبسط خوان الطعام كلما اشتهى، ويخصص الأوقات الطويلة للقهوة والشاي والعصائر والفطائر، ولا يسمح لنفسه بأن تتنازل عن أي فرصة فسحة أو مسامرات مع أصحابه، ولا يستطيع كبح جماح تصفح الانترنت أن يسرق ساعاته، إذا كان المرء كذلك.. ومازال يرجو أن تتحقق يوماً ما خططه العلمية والدعوية والإصلاحية فمثل هذا الشخص قد استأصل عقله، وزرع بدلاً منه مصباح علاء الدين! معالي الأمور، والطموحات الكبرى، في العلم والتعليم والتأليف والإصلاح والتغيير والنهضة بالأمة؛ لا تكشف وجهها لك، حتى تمسح العرق عن جبينك بيدٍ ترتعش من العناء).

وإن علو الهمة علامة على حياة القلب ونضج العقل، فلا يرتقي الإنسان في دينه ولا دنياه إلا إذا سمت همته وتعلقت بالأهداف السامية، وإن أعظم ما يفعله المؤمن هو انشغاله برسالة سامية وغاية كبيرة، يبتغي بها وجه الله ورضوانه. فالنفوس العالية لا ترضى بالدون، ولا تلهث خلف السراب، بل تنظر إلى الآخرة بعين اليقين، وتبذل جهدها لتكون لبنة في بناء أمة راشدة، تحيي الدين وتترك أثرا في الأرض، قال إبراهيم الحربي: (أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم).

كان سلفنا الصالح لا يضيعون أوقاتهم في اللهو والجدال العقيم، بل كانت هممهم معقودة على طلب العلم، ونصرة الإسلام، وبناء الأمة. وإن من علامات توفيق الله للعبد أن يشغله بأعمال عظيمة مع الإخلاص، ومن علامات الخذلان أن يشغله بأحاديث البطالين وأعمال التافهين.

فكن عالي الهمة، واسع الأفق، لا تُشغلك صغائر الأمور وسفاسفها عن عظيمها وكبيرها، ولا تجعل حياتك تدور حول ملذاتك وشهواتك فقط، بل اجعلها منارة تنير لغيرك الطريق، وإن من طلب المعالي تعب لكنه فاز برضوان الله إن صلحت نيته. فالشاب الذي يحمل هذه الروح لا يرضى إلا بأن يكون في طليعة من يحملون راية الإسلام، متجاوزا كل ما يعيقه عن تحقيق هذا الهدف النبيل.

راقب الله واحتسب الأجر



وما كانت الهمم لتعلو، ولا العزائم لتثبت، لولا يقين راسخ في القلب بأن الله مطلع علينا، وأن العمل القليل يعظمه صدق النية وإخلاص العمل، فمن كان دافعه رضا الله وابتغاء الأجر منه سبحانه، لم تضعف همته، ولم تتوقف خطواته، لأن عينه على رضا ربه، لا على نتائج عاجلة أو ثناء زائل.

وإن السير في طريق نصرة الدين، والعمل للآخرة، لا يثمر ولا يدوم إلا إذا امتلأ القلب بمراقبة الله، واستشعر العبد حقيقة العبودية لله، واعلم أن الله مطلع على قلبك قبل عملك، وعلى نيتك قبل جهدك، فأخلص عملك لله وسِر بثبات ولا تلتفت لمدح الناس أو ذمهم ما دمت على الحق.

وإن طال الطريق وعظمت الخطوب والابتلاءات فلا تنسى أنك تعمل لوجه الله، وهذه النية هي زادك في هذا الطريق. وإن مراقبة الله عز وجل واحتساب الأجر يصنع من المسلم جنديا صلبا، لا تهزه الريح، ولا تلهيه المغريات، لأن قلبه معلق برضوان الله ونعيم الآخرة.

ختاما، يا شباب الإسلام وأنصار الشريعة وحماة الثغور، إن طريق نصرة الدين ليس مفروشا بالورود، بل هو درب شاق، تتخلله التحديات، وتحيط به الفتن، ويحتاج إلى قلوب صادقة، وأرواح معلقة بالله.

إنها دعوة لكل شاب مسلم أن يجدد نيته، ويشحذ همته، ويوقن أن دوره في هذه الحياة أعظم من مجرد السعي وراء الدنيا وزينتها، بل هو أداة تغيير، ولبنة من لبنات الخلافة المهدية على هذه الأرض.

تذكر أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأن كل خطوة تخطوها في سبيله، وكل دمعة تسكبها من أجله، وكل وقت تنفقه في نصرة دينه، هو عند الله مدَّخر، ويوم القيامة تجده أمامك نورا وأجرا وثوابا. فانهض، وابذل، واصبر، وراقب الله، واحتسب. ولتكن من الغرباء المُصلحين، الذين يعيدون للأمة مجدها، ويرفعون راية لا إله إلا الله خفاقة، في زمن ضعفت فيه الهمم واشتدت فيه الظلمات.

يا شباب الإسلام، إنكم مدعوون اليوم لتكونوا جنودا في سبيل الله، تحملون مشاعل العلم، وتنشرون الدعوة، وتجاهدون في سبيل نصرة دينكم. إنه موكب النور.. موكب الأنبياء والصحابة.. موكب العلماء والشهداء.. موكب الأولياء والصالحين.. موكب الشرف والعزة.

وتذكر قول سيد قطب: (إن راية المسلم التي يحامي عنها: هي عقيدته، ووطنه الذي يجاهد من أجله؛ هو البلد الذي تقام شريعة الله فيه، وأرضه التي يدفع عنها؛ هي دار الإسلام، التي تتخذ المنهج الإسلامي منهجا للحياة).

والحمد لله رب العالمين

